خِزَانَةُ المُنَاوَلَة في العِمَارَةِ السَكَّنيةِ بمَصْر

مقدمة

تُعتبر العمائر السكنية من الضرورات التي لا تُقام الحواضر إلا بها ولا يكتمل عمران المدن إلا بانتشارها، فهي من أبرز معالم الاستقرار وهي نواة المدن، ولذلك فقد صارت معيارًا يعكس مراحل نمو ومستوى التحضر التي وصلت إليه المدن، ويُمثل المسكن تراكمًا يعكس تطور المدنية ضمن إطارها الجغرافي والتاريخي والسياسي والاقتصادي. أما بالنسبة للعنصر الذي أتحدث عنه في البحث والمُتمثل في خزانة المناولة فقد كان الغرض الأساسي والوظيفي له هو نقل الطعام من طابق إلى آخر داخل المسكن، ومن ثَّم فقد كان حتمًا أن تتم الإشارة إلى قدسية نعمة كالطعام مما أدى إلى وجود مكان مُخصص تحديدًا لنقلها، وقد قال العَّلامة الفقيه "محمد بن صالح العثيمين" – رحمه الله تعالى– " أعلم أن الله عز وجل قد أسبغ علينا نعمةً ظاهرةً وباطنةً من المأكل والمشرب والملبس والمسكن، وغير ذلك من نعمه التي لا تُحصى ولا تُعد". فهذه نعمة عظيمة من الله فهو الذي نماه حتى تكامل، ويسر لنا الأسباب التي تيسر جنيه وحصاده ثم طحنه وطبخه إلى غير ذلك من النعم الكثيرة، ومن ضمن أقوال الفقيه "إنه لا يُقدَّم الطعام بين يديك إلا وفيه ثلاثمائة وستون نعمة، وهذا الذي يُدرك فكيف بالذي لا يُدرك؟"[١]

تمهيد:

من المعروف والثابت تاريخيًا أنه في الوقت الذي كانت البلدان الإسلامية تُمثل المشعل الفكري الوضاء بالعلم والمعرفة فقد كانت أوروبا تعيش في حالة من الجهل والضياع والتمزق، وبذلك فقد انتهلت أوروبا من الحضارة الإسلامية لتؤسس النهضة العلمية والثقافية والحضارية التي راجت فيها منذ بداية عصر النهضة الأوروبي[٢]، وفي هذ الحين كانت مصر تمتلك منشآت إسلامية متنوعة في تخطيطها وطابعها العام حتى جاءت أسرة محمد علي في العصر الحديث والتي كانت مُتأثرةً بطابع العمارة الإسلامية وأيضًا بنمط العمارة الأوروبية وفي أحيان أخرى كان التأثر بكليهما معًا سائدًا في طابع ونمط هذه العمائر، وقد ظهر ذلك بشكلٍ كبيرٍ في العمارة المدنية وخاصةً السكنية كالقصور نظرًا لقدرة هذه المنشآت على استيعاب كل من العمارة والفنون الإسلامية والأوروبية في آنٍ واحدٍ، بالإضافة إلى تداخل العادات والتقاليد العربية المصرية مع كلٍ من العمارة والفنون المحلية والوافدة –الإسلامية والأوروبية– لتتجلى العناصر المعمارية كخزانة المناولة موضوع البحث. وقد ورد في المأثورات من الحكم "إن الرجل الذي يُنجب طفلاً ويغرس شجرةً ويبني منزلاً يكون قد خلَّف حقًا أثرًا للأجيال المُتعاقبة[٣]. ونظرًا لأنني سأتحدث عن عنصر داخل المسكن بداية من العصر الإسلامي حتى العصر الحديث فتجدر الإشارة في بادئ الأمر إلى توضيح الفرق بين المُصطلحات التي يبرز من مدلول جميعها ماهية المسكن ومنها ما يلي:

---

(١) محمد بن صالح العثيمين: الشرح الممتع على زاد المستقنع، تحقيق:عمر بن سايمان الحفيان، دار ابن الجوزي للنشر، المملكة العربية السعودية، المجلد الأول ،١٤٢٢هـ ، ص ٩٩.

(٢) أحمد علي المُلا: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر للطباعة والتوزيع بدمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨١م، ص ٨.

(٣) أجنيسكا دوبروفولسكا وآخرون: هليوبوليس "مدينة الشمس تولد من جديد"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ترجمة: محمد عناني، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٣٧.

أولاً: القصر: وهو البيت الكبير الضخم العالي المُحاط بالحوائط والجدران، وقد سُمي كذلك لأنه يقصر مَّن فيه عمن بخارجه.(١)

ثانياً: البيت: ويُستخدم مصطلح بيت في الوثائق للدلالة على كل حيز أو مكان صغير أو كبير ويُستعمل كمقر ويكون مُخصصًا لاستعمال معين بغض النظر عما إذا كان من الحجر أو الآجر وجمعه بيوت (٢).

ثالثاً: المنزل: وهو مكان النزول – وقد ورد فى بعض الوثائق تحت مُسمى الدار.

رابعاً: السراي: وهى في التركية تعني البيت وفي الفارسية تعني بيت الملك أي قصره.

خامساً: الڤيلا: وهي كلمة إيطالية تعني استراحة أي بيت صغير له حديقة(٣).

معنى الخِزَانَةُ في فقه اللغة:

الخِزَانَةُ: مكانُ الخَزْنِ. والجمع: خَزَائِنُ وخِزانات. والقائم عليها يُسمى خازنًا. وقال الجاحظ أن خِزانَةُ الإنسان هي قَلْبُهُ وَالْقَلْبُ خِزَانَةٌ مُسْتَحْفَظَةٌ لِلْخَوَاطِرِ وَالأَسْرَارِ، وَخِزانة الاحتراق – في علم الهندسة والميكانيكا– هي الفراغُ الداخليّ الذي يحْدُث فيه الاحتراق، كما أن خِزانة الدَّولة هي بيت المال، وخِزانة السِّلاح هي ترسانة الأسلحة، وخِزانة الفنون هي المتحف، ووزارة الخِزانة هي وزارة الماليّة وقيل يُطَالِعُ فِي الْخِزَانَةِ " أي في المَكْتَبَةُ العُمُوميَّةُ أو مَكْتَبَةُ الْمَدْرَسَةِ أَوِ الْمَعْهَد، ويُقال عنها " الخِزَانَةُ الْعَامَّةُ "، والخِزانة تعني في اللغة الخصوصيّة(٤).

دراسة تأصيلية لعنصر خزانة المناولة في العمائر السكنية بمصر

يُمكن إرجاع مهد ومنشأ عنصر خزانة(٥) المناولة إلى العصور الإسلامية ولكنه كان مظهرًا مختلفًا من حيث المُسمى ومن حيث الشكل العام الذي هو عليه الآن، وقد تواجد مظهر ذو غرض وظيفي يتشابه مع خزانة المناولة في مقعد قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م) حيث عُثر على مكان أسفل المقعد يُسمى طشت خاناه(٦)، بمعنى بيت الطشت، وهو عبارة عن صحن كبير لنقل الطعام والماء، وتجدر الإشارة إلى أن الطشت خاناه هو

---

(١) محمد علي عبد الحفيظ: المصطلحات المعمارية في وثائق عصر محمد علي وخلفائه، الطبعة الأولى، القاهرة ، ٢٠٠٥م، ص ١٤٣.

(٢) محمد أمين وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٠٤.

(٣) محمد أبو العمايم إبراهيم: حي شبرا منذ بداية القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين "دراسة أثرية عمرانية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، المجلد الأول، ٢٠٠٦م، ص" د ".؛ وللاستزادة: خالص حسن الأشعب: تطور البيت ودوره في تشكيل المدنية العربية "حالة الدراسة بغداد"، مجلة باسل الأسد للعلوم الهندسية–عدد خاص عن تطور المسكن العربي عبر العصور–، العدد ٨، ١٩٧٩م، ص ٨٥.

(٤) محمد زكي محمد خضر، معجم كلمات القرآن الكريم، الرياض محرم ١٤٢٦هـ – آذار ٢٠٠٥م. الجزء الثاني، ص ٢٢٠.؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم،٢٠٠١م، ص ١٩٥.

(٥) "خَزَن" الشئ خَزْناً جعله في خزانته، ولسانه حفظه – السَّر كتمه فهو خازن، الخزانه مكان الخزن. راجع: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ٢٠٠١م، ص ١٩٥.

(٦) محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، ص ١٠٨.

المكان المخُصص لوضع الطشوت التي من خلالها يتم نقل الطعام والماء من الطشت خاناه إلى المقعد [1]، وقد عُثر على مظهر لخزانة المناولة بشكلها البدائي البسيط في بيت الكريتلية[2] (١٠٤١هـ/١٦٣١م)، وقد كانت هذه الخزانة موجودة بالجهة الجنوبية، كما كانت تطل على الفناء الأوسط للبيت، وقد كان الغرض الوظيفى من عنصر خزانة المناولة هو الربط بين الطابق الأول "الأرضي" والطابق الثالث، وقد كانت فى هذه الحالة عبارة عن صندوق خشبي ذى قطاع دائري، ويتكون الصندوق من رفين، ويتم تحريكه من خلال الحبال القوية، ويبلغ قُطر الصندوق ٧٠سم، والارتفاع ١م تقريباً، وهو يبدو خاليًا من الزخارف (انظر الشكل رقم ١٢:١)، وتجدر الإشارة إلى أن القائمين على العمل ببيت الكريتلية في الوقت الحالي يطلقون على خزانة المناولة مصطلح المصعد (الآسانسير).

منزل رمضان

لقد عُثر فى منزل رمضان[3] بمدينة رشيد[4] (١٢هـ/ ١٨م) على سُلَّم يربط بين الطابق الأول العلوي والطابق الثاني الثاني من داخل باب سري به خزانة خشبية بالحجرة الشمالية الغربية (انظر الشكل رقم ١٦:١٣)، وهي الحجرة

---

(١) غزوان مصطفى ياغي: منازل القاهرة ومقاعدها في العصرين المملوكي والعثماني "دراسة أثرية حضارية"، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٧٦.

(٢) بيت الكريتلية: أنشأ هذا البيت والسبيل الحاج محمد بن سالم بن جلمام الجزار (كما هو مثبت بسقف السبيل والمقعد والقاعة العلوية (١٠٤١هـ/١٦٣١م) ثم آل البيت الى سيدة تُدعى الست زنوبة الكريتلية ولذلك سُمى بهذا الاسم، بينما يقع البيت في الركن الشرقي لجامع أحمد بن طولون وبجوار بيت المعلم عبد القادر الحداد (المعروف باسم آمنه بنت سالم). راجع: رفعت موسى محمد: العمائر السكنية الباقية بمدينة القاهرة في العصر العثماني "دراسة أثرية وثائقية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٤٧-٤٨. وللاستزادة: مصطفى محمد نبيل: دراسة تحليلية للعمارة الداخلية والأثاث لبيت الكريدلية وأثرها على التصميم الداخلي والأثاث في المدن الجديدة، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للفنون التطبيقية، مدينة ٦ أكتوبر، ٢٠٠٣م.

(٣) منزل رمضان يقع بشارع دهليز الملك، ويتكون من أربعة طوابق، وكان يقيم به عثمان خوجا حاكم رشيد اثناء قدوم حملة فريزر (١٨٠٧م) ، ويحتوى الدور الارضي على شادر وبه خمسة حواصل وبجوارها صهريج لنقل المياه الى باقى طوابق المنزل، والطابق الثاني به حجرة الاغاني، وبها سلم داخلى يؤدي إلى طابق علوي للراحة، وهو مخصص للرجال، أما الطابق الثالث فهو مخصص للسيدات، أما الطابق الرابع فقد الحق به حمام وحوض ودست لتسخين المياه، وقد كان سقفه عبارة عن قبة محلاة بالزجاج الملون لتحقيق غرض الانارة. راجع: محمد حسام إسماعيل وآخرون: رشيد " النشأة – الازدهار – الانحسار"، دار الافاق العربية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٤) مدينة رشيد: بلده غرب النيل الغربي، وهي من أشهر مدن الديار المصرية، ولم تزل هذه المدينة آخذه في الأزدياد حتى صارت تشتمل تشتمل على ما يصل إلى ألفين وثلثمائة مسكن، وقد صارت أبنيتها في غاية المتانة والإحكام، وهى أبنيه ذات دور فسيحة وقصور مشيدة. راجع: علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة "مدنها وبلادها القديمة والشهيرة"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الحادي عشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص ١٩٣-١٩٥. ؛ إبراهيم أحمد العدوى: سواحل مصر،مجلة كلية الآداب،جامعة القاهرة، المجلد الخامس، الجزء الأول، ١٩٥٧م ، ص١٤٠. وقد أطلق على المدينة اسم (*Rosette*) أي الوردة، حيث لفتت المدينة أنظار الرحالة والمؤرخين، كما أبدعوا في وصف الحدائق التي تحيط بها من كل جانب ولقبوها بحديقة مصر. راجع: محمود أحمد درويش: موسوعة العمارة والفنون الإسلامية بمدينة رشيد، الجزء الثاني، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٠٧م، ص" أ ". وقد استحدث رشيد أهميتها في العصر الإسلامي من موقعها على فرع رشيد وما ييسره هذا الموقع من اتصال بداخل البلاد، حيث كان نهر النيل من سبل المواصلات الهامة في العصر الإسلامي. راجع: صفاء حافظ عبد الفتاح: المواني والثغور المصرية "من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م، ص ٢٠. كما تعد مدينة رشيد ثاني المدن المصرية بعد مدينة

الرئيسية بالطابق الأول العلوي وذلك ليتم النقل من الطابق الأول إلى الطابق الثاني، و يُعتقد أن الغرض من هذا السُلَّم نقل الطعام من طابق الحريم إلى هذا الطابق دون أن يُدرك الضيوف مصدر هذا الطعام، وهو ما يوفر حرية الحركة لأهل المنزل وكذلك لصاحبه[1]، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الفصل أو القصر بين الرجال والنساء في المنزل يبدو نوعًا من أنواع تطبيق الشريعة الإسلامية في عدم بين الرجال الغرباء ونساء المنزل أو البيت أو الدار.

منزل محارم

أما بالنسبة لمنزل محارم (١٢هـ/ ١٨م) الذي يقع بشارع دهليز الملك[2] بمدينة رشيد وفي الاتجاه الغربي منه منزل رمضان فوجد به خزانة مناولة تمثلت في صندوق خشبي مستطيل بداخله رفين من الخشب يدوران على محور يتمثل في عمود خشبي، حيث نجد الخزانة بالطابق الأول من المنزل، ويتضح أنه تم استخدامها في منزل محارم من أجل وضع الطعام والشراب فقط، حيث كانت أرفف الصندوق تتحرك بشكل دائري ولا يتم صعود أو هبوط الصندوق، وبالتالي يُمكن القول أن هذا العنصر يُعد نموذجًا لخزانة المناولة من حيث الشكل فقط، وليس من حيث الغرض الوظيفي (انظر الشكل رقم ١٧ : ١٩).

منزل أبوهم: وجدت خزانة المناولة في منزل أبوهم برشيد (١٢هـ/ ١٨م)، ويقع المنزل بشارع دهليز الملك حيث كانت تعمل الخزانة على نقل الطعام من الطابق الأول الى الطابق الثاني، وهي عبارة عن خزانة حائطية في سمت الجدار يبلغ عرضها حوالي ١م وارتفاعها ١,٥م تقريبًا، الجزء الأوسط من هذه الخزانة عبارة عن رفين من الخشب يدوران على محور يتمثل في عمود خشبي، حيث تقوم هذه الخزانة بدورها الوظيفي وهو نقل الطعام مع مراعاة الفصل بين نساء المنزل والرجال الغرباء، والخزانة خالية من الزخارف كعادة خزانة المناولة في مدينة رشيد (انظر الشكل رقم ٢٠ : ٢١).

منزل البقرولي: أما بالنسبة لمنزل البقرولي[3] (١٢هـ/ ١٨م) والذي يقع بمدينة رشيد فيُلاحظ فيه وجود عنصر خزانة المناولة، وقد صُممت الخزانة من الخشب، وهى تقع خلف الباب الذي يفصل بين السُلَّم الصاعد من الطابق الأول العلوي إلى الطابق الثاني، وقد كانت الخزانة موجودة في الحائط الشمالي، وهي مكونة من رفين من الخشب يدوران على محور يتمثل فى عمود خشبي، وهو ينقسم بدوره إلى قسمين أحدهما يفتح على السُلَّم ليتم من خلاله

القاهرة من حيث عدد آثارها الإسلامية التي ترجع الى العصرين المملوكي والعثماني وتتنوع هذه الآثار بين الآثار الدينية – المدنية والحربية. راجع: محمود أحمد درويش: موسوعة العمارة والفنون الإسلامية بمدينة رشيد، ص ٩.

(١) خالد عزب: فقه العمارة الإسلامية، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ٨١.

(٢) مصطفى أمين وآخرون: رشيد، مطابع المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٨م، ص ٢٠.

(٣) منزل البقرولي: يقع في شارع علي الجارم أمام مسجد دومقيس المعلق، ويتكون هذا المنزل من ثلاثة طوابق، الطابق الأرضي به شادر وحجرة للصهريج، وبالطرف الشمالي من المنزل يقع شباك السبيل، الذي يعلوه لوح رخامي عليه نصًّا باللغة التركية ينتهي بتاريخ ١١٣١هـ/١٧١٩م، وفي وسط اللوح توجد دائرة مكتوب فيها الفقير حسن قريمي. راجع: نيفين مصطفى حسن: رشيد في العصر العثماني "دراسة تاريخية وثائقية"، منشورات دار الثقافة العلمية، إسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٤٢٥.؛ محمود أحمد درويش: عمائر مدينة رشيد وما بها من التحف الخشبية في العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة، ١٩٨٩م: سامي أبو طلب: تحديث القيم الجمالية والوظيفية للعمارة الداخلية من خلال عمائر مدينة رشيد العثمانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة المنيا، ١٩٩٥م.

نقل وتوصيل الطعام، أما الآخر فيفتح على الدورقاعة الداخلية الكائنة بالطابق الأول العلوي، وذلك لكي ينقل الطعام من على الرفين إلى الضيوف، ولعل هذه الحيلة توفر الخصوصية لأهل المنزل، ولا تعرضهم لضرر التعرض للغرباء من الرجال (انظر الشكل رقم ٢٣:٢٢). وقد ساد عنصر خزانة المناولة أيضًا في منزل جبري (١١٥٤هـ/ ١٧٤١م)، وهو الكائن بمدينة رشيد، وهو مُندثر حاليًا [١]. ومما سبق يُمكن تبيان أنه قد تركز في مدينة رشيد ملامح الامتزاج بين الطرز المملوكية الأصلية والروح الأوروبية المُمتزجة بالسمات التركية والتي بدت على درجة عالية من الدقة [٢].

الخزانة في البيت التركي ق١٧م

تُعد الخزانة في البيت التركي – العصر العثماني ق١٧م – من العناصر المهمة والمؤثرة في تشكيل الحجرة (انظر الشكل رقم ٢٤)، وهي ثابتة في الجدار وتستعمل لوضع الأشياء اليومية كالوسائد والأغطية وما شابهها، وفي بعض الأحيان يوضع مخزون البيت من الطعام والشراب إذا كانت الخزانة في حجرة المطبخ. وبالتالي يُمكن القول أن هناك تشابه بين الخزانة في البيت التركي ومثيلتها في البيت المصري من حيث الشكل العام، ولكنها اختلفت من حيث الغرض الوظيفي. وجدير بالذكر أنه قد ارتبط حجم الخزانة بالموقع المتواجدة فيه بالجدار، كأن تكون بجانب المدخل أو أن تكون مكان موقد التدفئة، ويتضح من خلال الشكل نموذج متميز لإحدى الخزائن في البيت التركي (١١هـ/ ١٧م)، وهو متطابق من حيث الشكل مع خزانة المناولة في منزل رمضان برشيد (١٢هـ/ ١٨م)، وتجدر الإشارة الى أن الخزانة في البيت التركي وخاصة بمدينة سفران بولو – وهي من أهم المناطق التي توجد بالشمال الغربي من مدينة الأناضول– تركيا، وتتميز خزانة المناولة فى البيت التركي بأنها قابلة للدوران ضمن محور عمودي للاستفادة من وضع أكبر كمية مُمكنة من الأشياء في داخلها مع سهولة وضع الأشياء أو تناولها[٣]. هذا فضلاً عن أن الخزانة في كلٍ من تركيا ومصر كانت من الخشب الخالي من الزخارف. وتجدر الإشارة إلى أنه قد عُثر في المنازل والبيوت المملوكية على ما يُشبه خزانة المناولة من حيث الفكرة، وقدأُطلق عليها مُسمى "المسترقة بين الطبقات"[٤]، ولعل السبب في ظهور مُصطلح المُسترقة هو توضيح الفرق بين مُصطلحين معماريين، وهما الطابق والطبقة، حيث إن الطابق جمعها طوابق، وهو الدور فى العمارة أو البيت، بينما الطبق[٥] أو الطبقة

---

(١) خالد عزب: فقه العمارة الإسلامية، ص ٨١.

(٢) علي محمد عبد الله الصاوي: التحولات في الفكر والتعبير المعماري لقاهرة الخديوي اسماعيل "دراسة نقدية لظاهرة التحول في التعبير المعماري"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م، ص٧٨.؛ جون وليامز: مبانى القاهرة العثمانية، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، الجزء الثانى، ١٩٦٩م، ص٣٦٩.

(٣) محمود محمد راضي زين العابدين: جولة تاريخية في عمارة البيت العربي والبيت التركي، الطبعة الأولى، الرياض، ١٩٩٨م، ص١١٦: ١١٨.

(٤) التعريف اللغوي للمسترقة: سرق الشئ سرقًا استرقةً، واسترق السمع أي استمع متخفيًا،والمسترقة في العمارة المملوكية والوثائق هي عبارة عن خزانة توجد في مكان بين أدوار المبنى،ومن وصفها في الوثائق "مسترقتين على كل منها فردة باب إحداهما حبيسه والأخرى تطل على الطريق،وهن مسقفتين،ويتواجد بالحبيس منهما سُلم خشبي برسم السطح العالي. راجع: محمد أمين وليلى إبراهيم:المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ١٠٥.

(٥) الطبق: هو لوح خشبي رقيق. راجع: محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٠٦.

فجمعها طباق، وهي عادةً ما تتكون من حجرة أو حجرتين للنوم، أي إن الطبقة أو الحجرة قد يكون لها أكثر من مستوى، وبمعنى آخر فإن الطابق أو الدور يشتمل على عدة طبقات، ولا توجد بالطبقة خزانة للمناولة فقط، بل يوجد أيضًا فتحات للتهوية والإضاءة، وقد يكون بالطبقة غالبًا بيت أزيار ومرحاض، وتجدر الإشارة إلى أن هذا العنصر قد تم ذكره في وثيقة الظاهر بيبرس، وكذلك وثيقة الغوري [١]. أما بالنسبة للقصور التي ساد فيها عنصر خزانة المناولة في العصر الحديث ق١٩-٢٠م فقد عُثر عليها في قصر عبد الستار الباسل ١٩٠٥-١٩٠٧م، وهو الذي يقع بعزبة قصر الباسل بمركز إطسا بمحافظة الفيوم[٢]، وقد كانت موجودة بالركن الجنوبي الشرقي لحجرة الطعام بالطابق الأول، حيث كان تتصل بالمطبخ في الطابق المسروق. وقد تطور الأمر بعد ذلك فقد أصبح لخزانة المناولة موقعًا خاصًا بها في حجرة الطبخ كمظهر ومدلول وظيفي، وذلك بطبيعة الحال مع مدى تطور المسكن واختلافه في الشكل والمضمون عن البيت الإسلامي، وقد أدى ذلك إلى اختفاء بعض العناصر أو تواجدها بشكلٍ مختلفٍ. أما عن رمزية خزانة المناولة فنجده في الطابق المسروق لقصر عبد القادر الباسل ١٩٢٤-١٩٢٦م الكائن في قرية السعدة القبلية – مركز إطسا – محافظة الفيوم [٣] (انظر الشكل رقم ٢٥:٤٠).

دراسة وصفية لأجزاء و مقومات خزانة المناولة

إن خزانة المناولة هي عبارة عن دولاب خشبي كائن في إحدى أركان حجرة المائدة،وهو مقسم من الداخل إلى قسمين؛ هما القسم العلوي وبه عجلتان معدنيتان يلتف حولهما الحبال القوية التي تقوم بدورها بتحريك الصندوق الخشبي – الذي قد يحتوي على رف واحد وأحيانًا رفين–، ويتواجد هذا الصندوق الخشبي في الجزء السفلي لهذه الخزانة، وهذا القسم السفلي يفتح بطبيعة الحال على الطابق المسروق أو البدروم[٤]، وتتضح وظيفة خزانة المناولة في عملية نقل الطعام من الطابق المسروق إلى الطابق الأول الذي توجد به حجرة المائدة[٥]، وتجدر الإشارة إلى أنه يغلق على خزانة المناولة مصراعان من الخشب غير المزخرف، ومن المعروف أن مصر بلد غير منتجة للأخشاب، ولذلك يقوم الحرفيون باستيراد الأخشاب لصناعة المنتجات الخشبية المتميزة ومنها خزانة المناولة. أما بالنسبة لارتفاع خزانة المناولة فيصل الى حوالي ٢ : ٢,٥م ،أما العرض فلا يزيد عن المتر، والعمق قد يصل الى المتر أيضًا. ومن خلال ما سبق يُمكن القول أن نظام الحكم في العصر الحديث (ق١٩-٢٠م) قد أعطى للأفراد

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم: الوثائق في خدمة الآثار "بحث من كتاب دراسات في الآثار الإسلامية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مطبوعات جامعة الدول العربية،١٩٦٩م، ص ٣٩٦. راجع: رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ١٧٥-١٧٦.

(٢) دار الوثائق المصرية، محافظ مجلس الوزراء، الدايرة السنية، ٦/٣/ج، بيع أراضي بالفيوم، ملف رقم ٢٣.

(٣) وفق سجل توصيف القصور والفيلات بدائرة محافظة الفيوم. راجع عن ذلك: أبي عثمان النابلسي الصفدي الشافعي: تاريخ الفيوم وبلاده، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٤٣.

(٤) البدروم: هي كلمة تركية من اليونانية، وهي غرفة تحت الأرض تستعمل كمخزن أو مسكن خاص بالخدم ويوجد به ملحقات هذا المسكن ويقال بدرون. راجع: أحمد محمد عيسى: مصطلحات الفن الإسلامي، استابنول، ١٩٩٤م، ص ٢٩.

(٥) غدير دردير خليفة: القصور بمحافظة الفيوم "خلال القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي" دراسة أثرية فنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٥١.

القدرة على التمتع بثرواتهم الخاصة، وقد كان من الصعب أن يتوسع الحرفيون في ممارستهم لهذه المهنة، إلا في محيط من الرفاهية يستطيع المرء من خلاله أن ينفق عن سعة وبشكل آمن لما قد يفيض عن حاجته(١)، حيث يُعد القصر بشكل عام مقر للآمان والمتُعة في آنٍ واحدٍ(٢).

ومن الجدير بالذكر أن الشكل الخارجي لخزانة المناولة يتمثل في عدة أشكال ومظاهر هندسية منتظمة فقد كان منها المربع والمستطيل، ولعل ذلك يعمل على زيادة التناسق الشكلي والاتزان الجوهري أو الضمني في العمارة بصفةٍ عامةٍ والمعمار السكني بصفةٍ خاصةٍ(٣).

الأغراض الوظيفية لخزانة المناولة

يُعد الغرض الوظيفي الرئيسي لخزانة المناولة هو نقل وتوصيل الطعام من طابق لآخر داخل البيت الكبير أو القصر، ومن ثَّم الربط والوصل بين عناصر التصميم المختلفة داخل البيت، وهي إحدى الطرق لربط فراغ بفراغ آخر مع توفير وتحقيق الخصوصية للفراغات "الحجرات"، بالإضافة إلى عزل كل فراغ عن الآخر المجاور له وكذلك عن المسارات الملازمة لذلك(٤)، وتجدر الإشارة إلى أن الغرض الوظيفي الآخر يكمن فى قِلة أعداد الخدم داخل حجرة المائدة "الطعام" ولعل ذلك يعمل على توفير وتحقيق مفهوم الخصوصية لأهل البيت أو القصر أثناء تناولهم لوجبات الطعام الخاصه بهم. كما يتضح غرض وظيفي آخر لخزانة المناولة وهو يكمن في سرعة نقل الطعام، ومن ثَم الحفاظ على درجة حرارته، بالإضافة إلى تحقيق قدرًا كبيرًا من الحفاظ على سلامة الطعام من الأتربة والجراثيم. وتجدر الإشارة إلى أنه مع زيادة التطور المعماري بالإضافة إلى مفاهيم الرُقي المتلاحقة زمنيًا عبر العصور و الحقب فيُلاحظ أن خزانة المناولة التي عُثر عليها في حجرات المائدة وأيضًا في الطابق المسروق الذي يتمثل فيه الجزء الخدمي قد سادت في عمائر وسط القاهرة، ولكن بشكل أكثر تطورًا؛ فقد قام المعماري بتحقيق عملية الربط بين طوابق العمارة جميعها من خلال ما يُعرف بالمصعد، فكلاهما يحمل نفس فكرة ومفهوم الإنشاء، وهو تحقيق عملية الربط بين الفراغات، ولكن مع الاختلاف في الأحجام و المظاهر المعمارية وكذلك الأغراض الوظيفية، فخزانة المناولة تنقل الطعام أما المصعد فينقل الأشخاص، وقد يرى ذلك من خلال هيكلة شكل أو مظهر المصعد وبالتالي ينطبق ذلك على مضمون أو مغزى وجوهر المصعد، وقد تحقق ذلك وساد في المنازل والعمائر السكنية التي شُيدت بعد الثورة الصناعية في المدن الأوروبية (٥).

---

(١) ب.س. جيراد: موسوعة وصف مصر "الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر"، دار الشايب للنشر، الجزء الأول، ترجمة زهير الشايب، ١٩٧٨م، ص ٢١٦-٢١٧.

(2) O'kane (B): The World of Islamic Art, The Americana University in Cairo Press, 2007, p. 30.

(٣) محمد عواد حسن: المنشآت المدنية الخشبية في تركيا في القرن التاسع عشر وتأثيرها على المنشآت المعاصرة لها في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٥٧.

(٤) أشرف السيد البسطويسي، الخصوصية في تخطيط وتصميم المناطق السكنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص٨٨.؛ فجر على عبد المحسن: أثر التشريع الإسلامي في عملية التصميم نحو تصميم إسلامي معاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة النجاح الوطنية بنابلس – فلسطين، ٢٠١١م.

(5) Jodidio (P): Architecture – Art, London, 2005, p. 12.

دراسة تحليلية لخزانة المناولة :

لم تسُد خزانة المناولة في البيوت المتواضعة أو المتوسطة، وإنما سادت في البيوت والمنازل والقصور ذات المساحات الكبيرة، فلقد كانت المساحات الكبيرة للبيوت تُعطي للمبنى نوعًا من الفخامة والتميز، كما أن البيوت الأكثر بساطة يكون فيها قدر أكبر من أماكن الإقامة أو المعيشة، وبمعنى آخر فإن الغرض الرئيسي لأي مسكن يتجلى في تحقيق غرض الإقامة أو المعيشة، بينما كانت الحجرات المُخصصة للخدمات أو وسائل الاتصال التي تمنح قدرًا أكبر من الرفاهية مثل خزانة المناولة التي سادت بشكلٍ أكثر في البيوت الكبيرة والأكثر رفاهية أو القصور(١). ومما سبق فيُعد القصر نموجًا واضحًا وقويًا لبيان ثراء ومكانة قاطنيه(٢). وقد اتضح أن سماكة الجدران التي سادت في البيت الإسلامي قد ساعدت على وجود العنصر المعماري الذي يطلق عليه مُسمى المسترقة، أما عن خزانة المناولة فقد ساعد على تواجدها مدى تطور مواد البناء وظهور الأسمنت والخرسانة والمعادن المُستخدمة في البناء، ويتضح مما سبق أن السُلم في البيت الإسلامي كان يوازي المسترقة، ومع ازدياد تطور هذا العنصر فقد أصبح يُمثل مظهرًا لخزانة المناولة في قصور القرن ١٩-٢٠م، ومن ثَّم فقد أصبحت الخزانة طرازًا معماريًا، حيث إن الطراز هو نظام يتم تداوله بانتظام ولا يتغير في الغالب، ولكن يزداد تطورًا في مظهره ووظيفته(٣). وقد كان يتم وضع الطعام في نهاية السُلم من جهة الحرملك، وذلك لكي يصعد أحد رجال البيت ينقله للكائنين بحجرة الاستقبال في الطابق الأول دون أن يحدث كشفًا لحريم البيت، وقد ساد أيضًا في البيت الإسلامي مثل بيت رمضان بمدينة رشيد ق١٨م عنصر المسترقة التي توجد بنفس الطابق وذلك نتيجة لتعدد مستويات الطابق وقد كان مأخوذًا في الاعتبار توفير عنصر الحركة بهما من أعلى إلى أسفل والعكس، وقد لوحظ أنه لم يتم توضيح الغرض الوظيفي لتلك المسترقة من خلال الوثائق، كما لوحظ عودة تواجد هذا العنصر فيما يُسمى في العصر الحديث بخزانة المناولة، ولكن مع هيكلتها وصباغتها بالصبغة الأوروبية كالتي ظهرت جليًا في قصور محافظة الفيوم مثل قصر عبد الستار الباسل ١٩٠٥-١٩٠٧م والذي يقع بعزبة قصر الباسل بمركز إطسا، وكذلك قصر عبد القادر الباسل ١٩٢٤-١٩٢٦م بقرية السعدة القبلية – بمركز إطسا. ولا يُمكن إنكار دور أسرة محمد علي في تحقيق ازدياد التطور المعماري الذي حدث في مصر في القرنين ١٨، ١٩م، وذلك نظرًا لاهتمام محمد علي بالتعليم وكذلك رغبته في حصول المصريين على منح تعليمية في أوروبا(٤)، فقد نظر حكام الأسرة العلوية الى أوروبا كمصدر من مصادر الحضارة ومنهل من مناهل التقدم و الرُقي الفكري(٥)، ومن ثَّم فقد سعى محمد علي باشا لتحفيز البلاد إلى نيل سُبل هذه الحضارة والتمعن في عمارتها وفنونها المختلفة، وقد أُطلق على هذه المرحلة في العمارة مُصطلح التفرنج، ولعلها مرحلة بدأت مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، فقد كان من الطبيعي أنك إذا

---

(١) نيللي حنا: بيوت القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر "دراسة اجتماعية معمارية"، دار العربي للنشر والتوزيع، ترجمة: حليم طوسون، ١٩٩١م، ص ٨٥-٨٦.

(2) Grabar (O) and Robinson (C): Islamic Art and Literature, Journal of Middle Eastern Studies VIII, 2001, p21.

(3) Kroeber (A.L): Style and civilization, Cornell University press, 1957, p. 76-77.

(٤) عفاف لطفي السيد: مصر في عهد محمد علي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٢٥٤.

(٥) كمال الدين سامح: لمحات في تاريخ العمارة المصرية "منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث"، دار نهضة الشرق، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٦٥.

أردت أن تقتبس ثقافة ونظام مجتمع ما، فإن الأساليب المعمارية السائدة في هذا المجتمع تنتقل معها بالضرورة[١] . وقد كان الخديوي إسماعيل يرغب في تحديث البلاد على الطريقة الأوروبية، وذلك لأنه درس في أوروبا، فأراد أن يجعل من مصر مركزًا للارتقاء الحضاري[٢]، ولعل ذلك كان ناتجًا من شدة إيمانه بأهمية دراسة الفكر والعلم الغربي والعمل على نقله الى مصر[٣]، هذا فضلاً عن استعانة أسرة محمد علي بالمهندسين والعمالة الأجنبية، حيث لم يتم الاستفادة من علمهم فقط، وإنما ساعد وجودهم على إمداد طائفة من المصريين من خبرتهم وعلمهم[٤]. وقد أدى ذلك الى حدوث تغييرات جذرية في شخصية المعماري في مصر، ولعل من أهم هذه التغييرات:

- حدوث تحولات في الأساليب التخطيطية للمسكن المصري.
- حدوث تغييرات في طرق الإنشاء ومواد البناء.
- إدخال طرز معمارية جديدة[٥].

ولهذا فقد اعتقد اندريا بلاديو وهو أستاذ في علوم النظريات المعمارية في المدرسة الكلاسيكية الجديدة أن المعايير التي ينبغي استخدامها في الحكم على تخطيطات المباني في العمارة الكلاسيكية تعتمد على ثلاثة أمور تتركز فيما يلي:

- مدى النفع أو الراحة.
- القدرة على الصمود.
- الجمال الشكلي[٦].

ومنذ أن تم إعادة النظر والتحقيق فى مفاهيم العمارة الكلاسيكية في عصر النهضة، وهذه المعايير باتت مُستخدمة في الحكم على نظريات وتخطيطات المباني[٧]. وتجدر الإشارة إلى أن أى عنصر معماري أو فني يبدأ ظهوره

---

(١) حسن فتحي: العمارة العربية الحضرية بالشرق الأوسط، مطبعة دار الأحد، بيوت، ١٩٧١م، ص ٢١.

(2) Sakr (T.M.R): Early Twentieth – Century Islamic Architecture in Cairo, The American University in Cairo Press, 1993. P. 12-14.

عرفه عبده علي: القاهرة في عصر إسماعيل، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة،١٩٩٨م، ص١٣: ٢٨.؛ محمد حسام الدين إسماعيل: مدينة القاهرة "من ولاية محمد علي إلى إسماعيل"، دار الآفاق العربية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٥٩.

(٣) إلياس الأيوبي: تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا "١٨٦٣-١٨٧٩"، المجلد الثاني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٢٢-١٢٣.

(٤) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة، الجزء الأول، أوراق شرقية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٦م، ص٢١.؛ إبراهيم صبحي السيد: فن النحت على عمائر القاهرة منذ ١٨٧٥م حتى ١٩٣٠م، مجلة مشكاه، العدد الثاني، المجلد الثاني، ٢٠٠٧م، ص ٤٩: ٥٠.

(٥) محمد علي عبد الحفيظ: دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٣٧.

(٦) أجنيسكا دوبروفولسكا وآخرون: هليوبوليس "مدينة الشمس تولد من جديد"، ص ٧٥.
Pevsner (N): an outline of European Architecture, Penguin Books, 1951.

(٧) أجنيسكا دوبروفولسكا وآخرون: هليوبوليس "مدينة الشمس تولد من جديد"، ص٧٥.
Pevsner (N): an outline of European Architecture, Penguin Books, 1951.

بشكل ومظهر يختلف عن شكله أثناء مرحلة تطوره حتى ينتهي بشكل آخر، ومن هنا يُمكن القول أن المُسترقة في البيت الإسلامي، والتي تطورت لتصبح خزانة المناولة في قصور العصر الحديث؛ وقد تواجد لها مكانًا خاصًّا في حجرة الطبخ كمظهر يرمز إلى وجود هذا العنصر ووجوده في سالف العصور، ولكنه صار غير مُستخدم أو مُستغل في هذه الأثناء، ومثال على ذلك ما وجدناه في قصر عبد القادر الباسل ١٩٢٤م بقرية السعدة القبلية – مركز إطسا – محافظة الفيوم، حيث أصبحت خزانة المناولة ثابتة في حجرة الطبخ في الطابق المسروق، ثم تلاشى هذا العنصر نهائيًّا نتيجة وجود المطبخ بنفس الطابق الذي يوجد به حجرة المائدة. ومما سبق يتضح أن الرمز يُعد وسيلة مهمة للتعبير عن مفهوم ينتقل إلى الإنسان ، ويكون له قيمته الذاتية ،كما أنه يُعد ركيزة مهمة من ركائز الفكر المعماري الإسلامي، والتي بواسطتها يُمكن إبراز المفهوم السائد في الفكر الإسلامي وصياغته في قالبه المادي المعاصر [١]. ومن الأدلة التي تُثبت استمرارية عنصر خزانة المناولة منذ العصر الإسلامي "العثماني" حتى العصر الحديث، هو ملاءمته للعادات والتقاليد وطرق المعيشة، والتي تهتم بشكل رئيسي على تحقيق الخصوصية الأسرية، والحفاظ على قدسية أهل البيت أو القصر.[٢] وهذا يحقق بطبيعة الحال البُعد الإنساني للمُسلم، حيث يتحقق من خلال خزانة المناولة ثلاثة جوانب وهي الجانب الفكري – المادي – النفسي مع ملائمته لروح العصر الذي يعيش فيه[٣]، وقد ساعد على تطبيق هذه الجوانب سابقة الذكر ثورة الإنشاء بالحديد والخرسانة المسلحة في مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وقد حققت هذه المواد خواص مقاومة الشد والضغط معًا بمقدرة عالية[٤]، ولعل مواد البناء المُستخدمة في العصر الحديث والناتجة عن التطور الصناعي الغربي بالإضافة إلى تداخلها مع مواد البناء التقليدية كالآجر قد ساعد على تحقيق تطور بعض العناصر المُكملة للعمارة بوجه عام والعمارة السكنية بوجه خاص، حيث تظل العناصر المعمارية الداخلية مرتبطة أيضًا بالمستوى المادي والثقافي لقاطني البيت أو القصر[٥]، ومن ثَّم فقد أصبحت عمائر القاهرة في مطلع القرن العشرين الميلادي تحتوي على المصعد الذي يربط طوابق العمارة مع بعضها البعض، وهي بالتالي تتشابه إلى حدٍ كبيرٍ من حيث المفهوم والمضمون مع خزانة المناولة، ولكن كانت نشأة المصعد في مظهره السائد في المنازل التي شُيدت بعد الثورة الصناعية في المدن الأوروبية[٦]، حيث إنه في غمار المنافسة في الأسواق "الخاصة بالإنشاءات" فسرعان ما

---

(١) إيمان محمد عطية: المضمون الإسلامي في الفكر المعماري "نحو نظرية في العمارة الإسلامية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٣٧.

(2) Kaufmann (E): Architecture in the Age of Reason, Harvard University press, 1955, p 192.

(٣) جاكلين موسى طقطق: البُعد الإنساني في العمارة السكنية، "دراسة تطبيقية على نماذج مختارة من العمارة المصرية والسورية"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٣٥:١٤٣.؛ عفيف البهنسى: العمارة العربية"الجمالية، الوحدة، التنوع"، المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب، بدون تاريخ، ص ١٤.

(٤) علي رأفت: الإبداع الفني في العمارة، طباعة مطبعة الأهرام، ١٩٩٧م، ص ٢٧.

(٥) عبد الباقي إبراهيم وآخرون: المنظور التاريخي للعمارة في المشرق العربي، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص ١٠٤.

(٦) الثورة الصناعية في أوروبا: هي انتشار وإحلال العمل بالماكينات محل العمل اليدوي. وقد شهدت بلاد أوروبا الغربية خلال القرن الثامن عشر نهضة علمية شاملة قامت على كاهل العلوم التي نقلت سلفًا من الشرق، والتي أسسها وأرساها العلماء العرب المسلمين إبان العصر الذهبي للإسلام، فتنوعت الأبحاث والتجارب لتشمل مختلف فروع العلم ولتؤدي إلى اختراعات واكتشافات مهمة كانت

تعرض المعماريون لضغوط تتمثل في وضع تصميمات جديدة لرفع قيمة العقارات، ونظرًا لزيادة ارتفاع تلك العقارات (العمائر) فقد كان من الضروري وجود المصاعد التي تعمل بالكهرباء، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع قيمة العقار وخاصة في الطوابق المرتفعة، وقد كان ذلك نتيجة لاستخدام المصعد، وعدم استخدام السلالم في تلك الحالات، ومن أمثلة ذلك ما عُثر عليه في قصر دوفين في باريس(١). أما فيما يتعلق بموقع حجرات الطبخ (المطبخ) فيُمكن القول أن المعماري في مصر في العصرين المملوكي والعثماني كان حريصًا على تنفيذ وتحقيق غرض الفصل الرأسي بين مواقع الخدمات، ومنها المطبخ والمخازن وكذلك تحقيق ذلك بين أجنحة المعيشة، وقد أمدتنا منازل رشيد برؤية واضحة عن توزيع الوحدات الخدمية وعلاقتها بطوابق المنزل، حيث حرص المعماري على وضع المطبخ في الطابق الثاني العلوي، الذي يقوم بإمداد الطابق الأول العلوي بالطعام وهو الطابق المُخصص للاستقبال(٢) . أما في قصور الفيوم فقد لوحظ أن الطابق المسروق قد احتوى على الحجرات الخدمية، ومنها المطبخ، ثم أصبح يتصل رأسيًا بالطابق الأول من خلال خزانة المناولة الخشبية(٣). أما البيوت والقصور التي شُيدت في القرن العشرين الميلادي فقد لوحظ فيها أنها أصبحت تحتوي على حجرات الطعام والاستقبال في مستوى أفقي واحد ، مما أدى في بعض الأحيان عندما تكون مساحات البيوت صغيرة إلى وجود نافذة مستطيلة تربط بين حجرة الطعام (المائدة) وحجرة المطبخ، أما في العصر الحالي فقد تم إزالة الجدار الذي يفصل بين حجرة المطبخ وحجرة المائدة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن مبدأ الخصوصية لم يعُد له تأثيرًا كبيرًا على تصميمات عمائر العصر الحديث، وعلى ذلك فقد صار المعماري متأثراً بصورة كبيرة بمفاهيم وتصميمات العمارة الغربية بغض النظر عن كونها لا تتناسب مع العادات والتقاليد والعقيدة لدى العرب والشرقيين(٤).

السبب المباشر في قيام الثورة الصناعية خلال القرن التاسع عشر، وهي ثورة كانت لها الأثر البالغ على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في أوروبا.

Peter (C): changing Ideals in Modern Arch, London, 1965. p 116.; Ashton(T.S):the Industrial Revolution (1760-1830),Oxford,1948.; Hartwell(R.M): the Industrial Revolution and Economic Growth,London,1971

توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى، الطبعة الثالثة، الجزء الأول ،١٩٨٣م، ص ٢٤-٢٥.

(١) أجنيسكا دوبروفولسكا وآخرون: هليوبوليس "مدينة الشمس تولد من جديد"، ص ٨٥ – ٨٨.

(٢) خالد عزب: فقه العمارة الإسلامية، ص ٨٥.

(٣) غدير دردير خليفة: القصور بمحافظة الفيوم، ص ٥١.

(٤) أجنيسكا دوبروفولسكا وآخرون: هليوبوليس "مدينة الشمس تولد من جديد" ص ٨٥ – ٨٨.

نتائج وتحليلات الدراسة

١- إن الغرض الوظيفي الرئيسي لخزانة المناولة هو نقل وتوصيل الطعام من طابق لآخر داخل البيت الكبير أو القصر، ومن ثَّم الربط والوصل بين عناصر التصميم المختلفة داخل البيت، وهي إحدى الطرق لربط فراغ بفراغ آخر مع توفير وتحقيق الخصوصية للفراغات "الحجرات"، بالإضافة إلى عزل كل فراغ عن الآخر المجاور له وكذلك عن المسارات الملازمة لذلك ، كما أن الغرض الوظيفي الآخر يكمن في قِلة أعداد الخدم داخل حجرة المائدة "الطعام" ولعل ذلك يعمل على توفير وتحقيق مفهوم الخصوصية لأهل البيت أو القصر أثناء تناولهم لوجبات الطعام الخاصه بهم. كما يتضح غرض وظيفي آخر لخزانة المناولة وهو يكمن في سرعة نقل الطعام، ومن ثَم الحفاظ على درجة حرارته، بالإضافة إلى تحقيق قدرًا كبيرًا من الحفاظ على سلامة الطعام.

٢- لوحظ أن خزانة المناولة التي عُثر عليها في حجرات المائدة وأيضًا في الطابق المسروق الذي يتمثل فيه الجزء الخدمي قد سادت فى عمائر وسط القاهرة، ولكن بشكل أكثر تطورًا، فقد قام المعماري بتحقيق عملية الربط بين طوابق العمارة جميعها من خلال ما يُعرف بالمصعد، فكلاهما يحمل نفس فكرة ومفهوم الإنشاء، وهو تحقيق عملية الربط بين الفراغات، ولكن مع الاختلاف في الأحجام والمظاهر المعمارية وكذلك الأغراض الوظيفية.

٣- يُمكن إرجاع مهد ومنشأ خزانة المناولة إلى العصور الإسلامية ولكنه كان مظهرًا مختلفًا من حيث المُسمى والشكل العام الذي هو عليه الآن ، حيث تواجد مظهر ذو غرض وظيفي يتشابه مع خزانة المناولة في مقعد قايتباي ويُسمى طشت خاناه وهو عبارة عن صحن كبير لنقل الطعام والماء وهو المظهر الأقدم لخزانة المناولة.

٤- عُثر على مظهر لخزانة المناولة بشكلها البدائي البسيط في بيت الكريتلية، وقد كان هذا الشكل البدائي لخزانة المناولة موجود بالجهة الجنوبية، وقد كان الغرض الوظيفي هو الربط بين الطابق الأول "الأرضي" والطابق الثالث، وقد كان فى هذه الحالة عبارة عن صندوق خشبي ذي قطاع دائري .

٥- ظهرت أشكال بدائية لعنصر خزانة المناولة وكانت تتشابه في الغرض الوظيفي ولكنها تختلف في المُسميات ومن أمثلتها ما عُثر عليه في منزل رمضان، منزل محارم، منزل أبوهم، منزل البقرولي، منزل جبري، وكلهم بمدينة رشيد، وقد اتضح من خلال الدراسة أنه قد تركز في مدينة رشيد ملامح الامتزاج بين الطرز المملوكية الأصلية والروح الأوروبية المُمتزجة بالسمات التركية والتي بدت على درجة عالية من الدقة.

٦- تبين من خلال الدراسة أن هناك تشابه بين عنصر الخزانة في البيت التركي ومثيلتها في البيت المصري من حيث الشكل العام، ولكنها اختلفت من حيث الغرض الوظيفي، هذا فضلاً عن أن عنصر الخزانة في كلٍ من تركيا ومصر كان من الخشب الخالي من الزخارف.

٧- اتضح من خلال الدراسة أنه عُثر في بعض المنازل والبيوت المملوكية على ما يُشبه خزانة المناولة من حيث الفكرة ، وقدأُطلق عليها مُسمى "المسترقة بين الطبقات".

٨- تبين من خلال الدراسة أن عنصر خزانة المناولة قد ساد في بعض القصور في العصر الحديث ق١٩-٢٠م حيث عُثر عليها في قصر عبد الستار الباسل، وقد كانت موجودة بالركن الجنوبي الشرقي لحجرة الطعام بالطابق الأول، حيث كان تتصل بالمطبخ في الطابق المسروق.

٩- أوضحت الدراسة أنه قد تطور الأمر بعد ذلك حيث أصبح لخزانة المناولة موقعًا خاصًّا بها في حجرة الطبخ كمظهر ومدلول وظيفي، وذلك بطبيعة الحال مع مدى تطور المسكن واختلافه في الشكل والمضمون عن البيت الإسلامي، كما تبين أنه لم تسُد خزانة المناولة في البيوت المتواضعة أو المتوسطة، وإنما سادت في البيوت والمنازل والقصور ذات المساحات الكبيرة .

غدير دردير عفيفي خليفة
مدرس بقسم الآثار الإسلامية - كلية الآثار- جامعة الفيوم .

الأشكال التوضيحية

شكل(١)

الواجهة الجنوبية الشرقية لبيت الكريتلية

شكل(٢)

الجدار الجنوبي الشرقي ويتواجد فيه خزانة المناولة

شكل (٣)

خزانة المناولة في بيت الكريتلية

شكل (٤)

الجدار الجنوبي الشرقي لصحن بيت الكريتلية

شكل (٥)

الجزء السفلي من خزانة المناولة

شكل (٦)

خزانة المناولة من الداخل

" تصوير الباحثة "

شكل (٧)
خزانة المناولة عن قرب

شكل(٨)
لحامل والعجلتان ومن خلالهما يتم صعود وهبوط خزانة المناولة

شكل (٩) العقد المفصص الكائن بالطابق الثالث ويتم من خلاله وضع أو أخذ الطعام من خزانة المناولة.

شكل (١٠) الحبل والعجلتان المتحكمان في حركة صعود وهبوط خزانة المناولة

شكل (١١) العجلتان المعدنيتان الصغيرتان

شكل (١٢) منضدة من الرخام شكلها العام عبارة عن بائكه معقودة بالعقد المدبب تقع بالطابق الثالث من بيت الكرتيلية ويوضع عليها الطعام استعدادًا لوضعه بخزانة المناولة.

" تصوير الباحثة "

شكل (١٣) واجهة منزل رمضان

شكل (١٤) واجهة منزل رمضان برشيد (الجزء العلوي)

شكل (١٥) خزانة المناولة بمنزل رمضان برشيد

شكل (١٦) خزانة المناولة بمنزل رمضان بعد الترميم

شكل (١٧) واجهة منزل محارم

شكل (١٨) واجهة منزل محارم (الجزء العلوي)

" تصوير الباحثة "

شكل (١٩) خزانة المناولة بمنزل محارم

شكل (٢٠) منزل أبوهم برشيد

شكل (٢١) خزانة المناولة بمنزل أبوهم

شكل (٢٢) المدخل الرئيسي لمنزل البقرولي

شكل (٢٣) منظر عام لمنزل البقرولي من اللخارج

شكل (٢٤) الخزانة في البيت التركي

" تصوير الباحثة "

شكل (٢٥) المدخل الرئيسي لقصر عبد الستار الباسل

شكل (٢٦) الواجهة الشمالية لقصر عبد الستار الباسل

شكل (٢٧) الواجهة الشمالية لقصر عبد الستار الباسل

شكل (٢٨) الواجهة الجنوبية لقصر عبد الستار الباسل

شكل(٢٩) حجرة الطعام بقصر عبد الستار الباسل

شكل(٣٠) خزانة المناولة بقصر عبد الستار الباسل

" **تصوير الباحثة** "

شكل (٣١) أجزاء خزانة المناولة بقصر عبد الستار الباسل

شكل (٣٢) العجلتان المعدنيتان لخزانة المناولة بقصر عبد الستار الباسل

شكل (٣٣) الواجهة الشمالية لقصرعبد القادر الباسل

شكل (٣٤) جزء من الواجهة الغربية لقصرعبد القادر الباسل

شكل (٣٥) الجانب الجنوبي من الواجهة الغربية من قصر عبد القادر الباسل

شكل (٣٦) الباب المؤدي الى حجرة الطابق المسروق لقصر عبد القادر الباسل

" تصوير الباحثة "

شكل (٣٧) حجرة الطابق المسروق بقصر عبد القادر الباسل

شكل (٣٨) خزانة المناولة بقصر عبد القادر الباسل

شكل (٣٩) أجزاء خزانة المناولة بقصر عبد القادر الباسل

شكل (٤٠) الواجهة الجنوبية لقصر عبد القادر الباسل

" **تصوير الباحثة** "